﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران: 105]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أمرَ اللهُ سُبحانَه وتعالى طائفةً منَ المؤمنينَ بالدَّعوةِ إلى الخيرِ والأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكر؛ جاءَ سياقُ هذه الآيةِ الكريمةِ مُحذِّرًا المؤمنينَ من التَّفرُّقِ والاخْتلافِ، كما حَصَلَ معَ الَّذينَ من قبلِهم بعدَ إنزالِ الكُتُبِ عليهم وإرسالِ الرُّسُل.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱخۡتَلَفُواْ﴾: "خَلَفَ: الخاءُ واللَّامُ والفاءُ أُصولٌ ثلاثةٌ، الأوَّلُ: أنْ يَجيءَ شيءٌ يقومُ مُقامَه، والثَّاني: خِلافُ قُدَّام، والثَّالثُ: التَّغيُّر، والاخْتلافُ من الأصلِ الأوَّل، يُقالُ: اختلفَ النَّاسُ في كذا، والنَّاسُ خِلْفةٌ، أي: مُختلِفون، فكلُّ واحدٍ منهم يُنَحِّي قولَ صاحبِه، ويُقيمُ نَفْسَه مُقامَ الَّذي نَحَّاه"[1]، وهذا هو المرادُ في الآيةِ الكريمة.

2) ﴿ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾: "(بَيْنَ) الباءُ والياءُ والنُّونُ أصلٌ واحد، وهو بُعْدُ الشَّيءِ وانْكشافُه.

وبانَ الشَّيءُ وأبانَ؛ إذا اتَّضَحَ وانْكشفَ، وفلانٌ أَبْيَنُ من فُلان، أي: أوضحُ كلامًا منه"[2].

فالبيِّناتُ هي الدَّلائلُ الواضحات، والبيِّناتُ تضمُّ دعوةَ الأنبياءِ والرُّسُل، وشرائعَ اللهِ ومعجزاتِه، فكلُّها واضحةٌ جَليَّةٌ.

❁ المَعْنَى الإِجْمَاليُّ:

حَريٌّ بالمؤمنينَ - وفي طليعتِهم صحابة رسولِ اللهِ ﷺ - ألَّا يَتَّبعوا سَنَنَ أهلِ الكتابِ من التَّفرُّقِ والاخْتلافِ من بعد ما جاءتْهُمُ الدَّلائلُ القاطعةُ على صدقِ أنبيائهم ورُسُلهم في دعوتِهم إلى اللهِ، والَّذين ينتظرُهم عذابٌ عظيمٌ يومَ القيامة؛ لذا فقد جاءَ النَّهيُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بين).

الإلهيُّ لعامَّة المؤمنين ألَّا يَقعُوا في مَغَبَّةِ ما وقعَ فيه مَنْ كان قبلَهم، فيصيبَهم ما أصابَهم، فالعاقلُ الحَصيفُ من أخذَ الدُّروسَ من غيرِه، فاتَّعظَ واسْتفاد.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

النَّهيُ، والصِّلةُ، والتَّأكيدُ، والقصْرُ، وأثرُها جميعُها في تجليةِ المعنَى وإثْرائه:

أفـادَ السِّـياقُ القُرآنيُّ بأركانِه ضـرورةَ اجتماعِ الـكـلـمـةِ على الـدِّيـن الـحـقِّ، ونبذِ الاخْـتـلافِ المـؤدِّي للتِّفرقةِ وشَتاتِ الأمر

قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ﴾ العطف هنا من عطف القصَّة على القصَّة، أو عطف الإنشاء على الإنشاء، وهو نهيٌ للمؤمنينَ – وفي مُقدَّمَتِهم صحابةُ رسولِ اللهِ ﷺ – أنْ يتفرَّقوا ويَختلِفُوا؛ كما اليهودُ والنَّصارى كلٌّ منهما تفرَّقَ فِرَقًا، واخْتلَفُوا باسْتخراجِ التَّأويلاتِ الزَّائفة[1]، وكَتْمِ الآياتِ النَّاطقةِ وتحريفِها بما أَخْلَدوا إليه من حُطامِ الدُّنيا الفانية.

ويمكنُ أنْ يتوجّه النَّهيُ إلى المتصدِّينَ للدَّعوةِ أصالةً وإلى أعقابِهم تَبَعًا، ويَجوزُ تَعميمُ الموصولِ ﴿كَٱلَّذِينَ﴾ للمختلفينَ من الأمُمِ السَّالفةِ المُشارِ إليهم بقولِه ﷻ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: 213].

وذلكَ من بعدِ ما جاءَهم من الدَّلائلِ المانعةِ من الافْتراقِ والاخْتلاف.

وقدَّمَ بيانُ اللهِ الافْتراقَ على الاخْتلافِ للإيْذانِ بأنَّ الاخْتلافَ علَّةُ التَّفرُّقِ، وهذا من المُفاداتِ الحاصلةِ من ترتيبِ الكلامِ وذكرِ الأشياءِ مع مُقارناتِها.

وفي هذا البيانِ الرَّبَّانيِّ إشارةٌ إلى أنَّ الاخْتلافَ المذمومَ الَّذي يؤدِّي إلى الافْتراق: هو الاخْتلافُ في أُصولِ الدِّينِ الَّذي يُفْضي إلى تكفيرِ أو تَفْسيقِ بعضِ الأُمَّةِ بعضًا، دونَ الاخْتلافِ في الفُروعِ المبنيَّةِ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/257.

على اخْتلافِ مصالحِ الأُمَّةِ في الأقْطارِ والأَعْصار، وهو المعبَّرُ عنه بالاجْتهاد[1]، "وإنَّما حذَفَ التَّاء؛ لأنَّ تأنيثَ البيِّنةِ غيرُ حقيقيٍّ، ولأنَّها بمعنَى الدَّليل"[2].

وذِكْرُ ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ إيذانٌ بأنَّ اللَّه تعالى لم يَدَعْ أُمَّةً من الأُمَم إلَّا وأرسلَ إليها المعجزاتِ مع الأنبياءِ والرُّسُل، وأنزلَ عليها البيِّنات في الكُتُب؛ ولذلكَ كانتِ البيِّناتُ دلائلَ واضحات، فيها عِصْمةٌ من الوقوعِ في الاخْتلافِ؛ لو قُيِّضتْ لها الأفهامُ، وجُنِّدتْ لها المقاصِدُ الحَسَنةُ للوصولِ إلى الحقِّ والتَّمسُّكِ به.

ولَمَّا لم يُراعِ أهلُ الكتابِ هذه وتلكَ، فاخْتلفوا، وتفرّقوا، فضلُّوا، وأضَلُّوا، وهم: إمَّا أنَّهم غَلُوا في دينِهم، أو اتَّبعوا أهواءَ قومٍ قبلَهم ضلُّوا وأضلُّوا عن سواءِ السَّبيل، كما قالَ تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: 77].

وفي هذا تحذيرٌ، وأيُّ تحذيرٍ؟! للصَّحابةِ الكرام ﷺ وللأجيالِ المؤمنةِ بعدَهم؛ حتّى لا يَقعُوا فيما وقعَ فيه أهلُ الكتابِ، فيختَلِفُوا، ويتفرَّقوا، فيفشَلُوا، وتذهبَ قُوَّتُهم، ويَخْسَروا دينَهم، فيتسلَّطَ عليهم أعداؤهم، ويُصبِحوا عبيدًا لهم بعد أن كانوا عليهم قادةً وسادةً، كما قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46].

قولُه تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ مُقابِلَ قولِه في الفريقِ الآخَر: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: 104].

"وقولُه: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى المذكورينَ باعْتبارِ اتِّصافهم بما في حَيِّزِ الصِّلة، وقولُه: ﴿لَهُمْ﴾ خبرُه، أو خبر العذاب، وذكر اسم الإشارة هنا لمزيد النَّعي عليهم، والإشارة لهم بالبُعد لإنزال البُعد المعنويِّ منزلة البُعد الحسِّيِّ لتماديهم وبعدهم في الضَّلال.

وقولُه: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ مُرتفِعٌ بالظَّرفِ على الفاعليَّةِ لاعْتمادِه على المبتدأ، أوْ مبتدأٌ والظَّرفُ خبرُه، والجملةُ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ خبرٌ للمبتدأ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾"[3].

وفي هذه التَّعريفاتِ من الإشارةِ والضَّمير، ثمَّ تقديمِ شِبْهِ الجُملةِ ﴿لَهُمْ﴾ تأكيدٌ ومبالغةٌ وقَصْرٌ، وفي كلِّ ذلكَ تهديدٌ ووعيدٌ للمتفرِّقين وتشديدٌ في تهديد المُشَبِّهينَ بهم.

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 1/530.
(2) العكبري، التبيان: 1/145.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 1/530.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الاخْتلاف والتَّنازع:

"التَّنازعُ والمُنازَعَةُ: المُجاذَبَة، ويُعبَّرُ بهما عن المخاصَمة والمجادَلَة، قالَ تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾"[1].

حـالُ المختلفينَ على ما هو معناه هو الَّـذي يُفْضي إلى الـتَّـفـرُّق، ولـيـس مـجـرَّد التَّنازع

والاخْتلافُ - كما تقدَّمَ في شرحِ المفرداتِ - ليس مجرَّدَ مُخاصمةٍ ومُجاذَبةٍ، كما هو معنَى التَّنازع، بل هو تَنحيةُ كلِّ خَصْم لقولِ صاحبِه، وإقامةُ نفسِه مُقامَه الَّذي نحَّاه، وهذا هو دَيْدَنُ المختَلِفين، ولذلكَ كانَ اسْتخدامُ السِّياقِ القُرآنيِّ لفعلِ (اخْتلفُوا) أنسبَ من الفعلِ (تَنازَعوا).

البيِّنات والدَّلائل:

"الدَّلالةُ: ما يُتوَصَّلُ به إلى معرفةِ الشَّيء، كدَلالةِ الألفاظِ على المعنَى، ودَلالةِ الإشارات والرُّموز والكتابة، والعُقودِ في الحساب، وسواءٌ أكانَ ذاكَ بقَصْدٍ ممَّن يجعلُه دَلالة، أم لم يكنْ بقَصْد، قالَ تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سَبَأ: 14]"[2].

وهذه الدَّلائلُ قد تكونُ واضحةً، وقد لا تكون.

أمَّا البيِّناتُ؛ فهي الدَّلائلُ الواضحات، تُوصِلُ إلى مَدْلُولِها بقُوَّة؛ ولذلكَ جاءَ سياقُ النَّصِّ القُرآنيِّ بذكرِها دون غيرِها من المفردات.

وهذه هي دعوةُ الأنبياءِ والرُّسُلِ، وشرائعُ اللهِ تعالى فيها كلُّ الوُضوحِ والبَيان، وهذا ما حَدَا ببيانِ اللهِ تعالى إلى اسْتخدامِها في سِياقِه.

(1) الرَّاغب، المفردات: (نزع).
(2) الرَّاغب، المفردات: (دل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»